المبحث الثالث

****

المؤلف (الراوي)
بين الصراحة والتعري

obeikandl.com

obeikandl.com

– ١ –

إذا كان النص الروائى بنية نصية (رسالة كلامية) يقوم بها راوٍ (سارد) إلى مرسل إليه (متلقى) فالراوى يقوم هنا – بنقل المروى إلى المروى عليه (المتلقى) وهنا يبرز دور التبئير أو زاوية الرؤية للراوى والتى من خلالها يكون تشكيل النص باعتباره رسالة نصية مرسلة إلى مروى عليه .. ولكن الراوى فى السيرة الذاتية يختلف عن الراوية يختلف عن الراوية ، لاعتماده على الحقائق ، غير أن الراوية تعتمد على المتخيل ، ولهذا المنظور لم يصبح الراوى كشخصية (البطل) فى الراوية ، حين أطلق عليه رولان بارت R.Barthes كائن من ورق ، فالراوى فى السيرة الذاتية شخصية واقعية (حقيقية) لحما ودما ، وله وجوده المادى فى الواقع ، ويقوم بالحكى ملتزما الصدق (الواقعى) للأحداث التى يرويها وعلى مقدار صدقة يكون تأثير نصه فى المتلقى ، لأنه يعبر عن أعماقه ، فيكون حديثه من القلب إلى القلب ولا يتسنى لسيرته الخلود إلا إذا كان متصفا بالصدق ، معبرا عن شعوره الدفين وأعماق نفسه ، يقول محمود تيمور " لا فن إلا إذا كان مصدر الوحى أعماق النفس وأغوار الشعور .. ولا صدق إلا إذا تحققت الاستجابة والتأثير بين الكاتب وما يعالج من تصوير وتعبير " (١) ، وفى صدقه يطلعنا على أعماق الحياة وأسرارها " وخلود أى أثر أدبى هو مدى اتصاله بالحقائق التى تجعل الحياة الإنسانية أكثر عمقا وأوسع شمولاً " (٢) .

بيد أن مبدأ الصدق الخالص يصعب تحقيقه لأمرين : أمر سيكولوجى ، وأمر أخلاقى يرتبط بالخجل والحياء ،فإذا كانت السيرة تعتمد على التذكر ، والتذكر بعد فترة طويلة ، يحول دون تذكر المواقف بتفاصيلها ، وفى هذا يقول جورج مور "إن المرء ليطالع

(١) فن القصة محمود تيمور ص٨٢ نقلا عن طه حسين بين السيرة والترجمة الذاتية د. رشيدة مهران ص١٩
(٢) فن القصة محمد يوسف نجم بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٥٥ ص ٦٠

openkandil.com

ماضى حياته مثلما يطالع كتابا قد مزقت بعض صفحاته وأتلف منها الكثير " [١] ومرجع ذلك ما يعترى الإنسان من نسيان ولذا كان جوته صريحا فى قوله " أنا لم أغير شيئا يتعلق بما أعلمه ، ومع ذلك لابد أن أكون قد غيرت أشياء كثيرة من غير علمى .. وإعادة الخلق الطبيعي للحياة برمتها كما عاشها صاحبها إعادة محكمة لهو أمر من المستحيل [٢] إضافة إلى عامل النسيان (غير المقصود) . نجد النسيان (المقصود) وهو الأمر الثانى الذى يحول دون تحقق الصدق الخالص ، وهو نسيان مقصود متعمد حين يمنحنا الحياء والخجل من ذكر صغائر فى حياتنا قد لا تشرق الصفحة التى نريدها ناصعة البياض ، فليست هناك سيرة ذاتية تمثل الصدق الخالص ، فقد كان جون محقا كما قال موروا حين سمى سيرته (الشعر والحقيقة) إشارة منه إلى حياة كل فرد إنما هى مزيج من الحقيقة والخيال [٣] .

ويتحدث الدكتور محمد عبد الغنى حسن عن استحالة الصدق الخالص مراعاة للجانب الأخلاقى قائلا " هل يستطع إنسان أن يكتب عن نفسه ما لا يود أن يراه الناس منه ويعرفونه عنه ؟ وهل يستطيع إنسان أن يبدى نفسه للناس على سجيته وفى مبادئه من غير أن يحاول ترميم العيوب التى لا يجب أن يطالع غيره عليها " [٤] .

وقد نادى غير واحد من الدارسين بعدم اقتحام الحياة الخاصة (المحرجة) فن الحكى ، يقول أدل " من الطبيعي أن تكون كتابة حياة أديب نوعا من الفضول الشائن ومن اقتحام الحياة الخاصة إن لم تهدف دائما إلى إضاءة الجوانب السحرية والغامضة فى عملية الإبداع " [٥] .

---

(1) See Shumaker :E nglish aut obiography P.38
(2) See . Shumaher op . cit p. 48
(3) See . Aspectof Biographys p. 179

(٤) التراجم والسير د. محمد عبدالغنى حسن ص٢٣
(٥) فن السيرة الأدبية إيدل ص ١١

وعاب هنرى جميس الطريقة التى نشرت بها جورج صاند غرامياتها ، وعاب – أيضا – كاتب سيرتها وقال : " إن ترك كل شئ لكاتب السيرة لتسهيل مهمته يشبه تعرى الإنسان أمام الجمهور – وعندما يعرى الإنسان حياته كما فعلت جورج صائد وكاتب سيرتها فما الذى يبقى جديراُ بالمعرفة ؟ ! "(١) .

وهذا الرأى نراه صراحة عند أحمد أمين فى سيرته حين قال " وضعت هذا الكتاب ولم أذكر فيه كل الحق ، فمن الحق ما يرذل قوله ، وتبنو الأذن عن سماعه ، إذا كنا لا نستطيع عرى كل الجسم ، فكيف نستسيغ عرى كل النفس ؟! (٢) .

هذان أمران يتعارضان والصدق الخالص (النسيان الطبيعي والنسيان المقصود) ويفضل لكاتب السيرة فى نسيانه المقصود مخافة من الإحراج وخدش الحياء أن يلمح إلى الأخبار المحرجة تلميحا ، دون ذكرها تفصيلا وتوضيحا خاصة فى ذكر علاقته الجنسية وهذا ما سوف نقف عليه فى موضعه .

وليس من الصدق أن يذكر الكاتب تفاصيل حياته العادية من أكل وشرب ومواقف عادية لا تكشف عن شخصية صاحبها وتطورها فكريا وروحيا ووجدانيا ولذا قال ميخائيل نعيمة " أما حياتى الخاصة فمن أين أرتزق ، وماذا أكل وأشرب وألبس وكيف أنام وأقوم ، وأعمل ... أما هذه الأمور كلها وكثير من نوعها فما ظننت يوما أن للناس أى نفع فى معرفتها لذلك أهملتها الإهمال كله فى كتاباتى " (٣) .

---

(١) م٠ نفسه ص ٤٩
(٢) حياتى أحمد أمين ص ٤
(٣) سبعون المرحلة الأولى ميخائيل نعيمة ص٩

ونقف على ملمح الصدق عند كتاب السيرة العرب موضحين دور الصدق فى جودة النص وثرائه ثم نقف على التعرى ، وبعدها سنقف عن افتقاد بعض السير للصدق إما لإنكار الكاتب لذاته ، وإما لشموخه واعتزازه المفرط بنفسه .

(٢)

٢-١ لعل أول ما يميز كتاب الأيام ، وجعله قريبا إلى قلوبنا صدق طه حسين فى تعبيره عن حياته البائسة ، هذا الصدق الذى جعلنا نعيش معه لحظات حياته مشاركين له فى آلامه وشجونه ، متذكرين لهذه المواقف التى مر بها ، والتى أبدعها فى أسلوب أدبى شفاف ، إن طه حسين فى الأيام يتحدث فى الأيام كأنه حديث للنفس ، فى لحظة صفائها ومواجهتها لنفسها ، لذا قال عبد الرحمن صدقى " قرأت كتاب الأيام أكثر من مرة ، فما أحسست مرة إلا أنه حديث من يحدث نفسه ، وقد خلا بها يناجيها ويسترجعها " (١) .

لقد أجاد طه حسين فى تصويره بصدق لمواقف حياته خاصة المؤلمة تصويرًا صادقا يشعر المتلقى معه وكأنه يتحدث عنه لصدق تصويره لأعماق النفس وأغوار الشعور لذا يتوحد معه المتلقى ويعانى معه ما عاناه ، وقد قال محمد سيد كيلانى "وهو بصفة عامة يجيد تصوير المواقف المؤلمة تصويرا يترك فى نفس القارئ أثرا عميقا حتى لكأننا شاهدنا ما شاهد ، وحضرنا هذه المواقف المؤلمة ولمسنا كل شئ فيها ؛ ورأيناه رأى العين "(٢) ولولا صدق طه حسين لما كان لتصويره هذا الأثر فى نفوسنا . وقد صور لنا طه حسين طفلا وشابا ورجلا بلهجة صادقة ، لا يتورع أن يذكر المواقف المخجلة التى تجعله صغيرا فى أعيننا ، فمن البداية يصور خيال الطفل الذى يرى فى السياج والقناة التى أمامه هى آخر

(١) طه حسين كما يعرفه كتاب عصره عبد الرحمن صدقى ص١٦
(٢) طه حسين الكاتب الشاعر – محمد سيد كيلانى – ط الدار القومية عام ١٩٦٣ ص ٩٣

الكون ، يخاف من الأشباح والعفاريت وهو نائم ليلا .. ويعرض لعلاقته بأسرته ، فكان يجد فى أبيه لينا ورفقا أحيانا ، وإهمالا وغلظة أحيانا أخرى ، وأحس بأن أمه كانت تأذن لأخوته فى أشياء وتمنعها عنه (لعاهته) ولا يتحرج فى ذكر موقف أكله بكلتا يديه " ولكن لأمر ما خطر له خاطر غريب ، ما الذى يقع لو أنه أخذ اللقمة بكلتا يديه ، .. وأخذ اللقمة بكلتا يديه وغمسها فى الطبق .. ثم رفعها إلى فمه ، أما أخوته فأغرقوا فى الضحك ، أما أمه فأجهشت فى البكاء ، أما أبوه فقال فى صوت هادئ ، ما هكذا تؤخذ اللقمة يابنى "(١) ويعرض لذهابه إلى الكتاب وغش العريف وعدم متابعته المتابعة الجيدة .. ويذكر ضيقه من الفرق الصوفية وأفعالهم الخارقة ويعجب بالسحر ، وعندما يستعد لذهابه للأزهر يبدأ فى حفظ الألفية ، ولا يتحرج أن يذكر كشف أخيه لتوقفه فى حفظ الألفية عن قدر معين ويذكر إعجابه بامرأة المهندس الزراعى المطربش الذى ذهب إليه لتعلم القراءات.

ومن صراحته فى الجزء الثانى حديثه عن الوحشة فى السكن ، وإهمال أخيه وزملائه له فكانوا يتجالسون ويتناظرون ويشربون الشاى ، دون أن يستطيع مشاركتهم لذا حن إلى الرجوع إلى القرية ، لولا مجئ ابن خالته ورفيق صباة " فذهبت عنه العزلة حتى رغب فيها أحيانا ، وكثر عليه العلم حتى ضاق به أحيانا أخرى "(٢) ذكر لنا عدم ترحيب أسرته به بعد العودة كما كانوا يفعلون بأخيه ، وعارض أباه فى قراءاته لدلائل الخيرات ..

وفى الجزء الثالث يصور لنا حياته فى الجامعة وسفره إلى فرنسا والعقبات التى وقفت فى وجهه ولعل من أهم المواقف التى تعرض لها حبه لسوزان التى كانت تقرأ له وإنكاره على نفسه هذا الشعور إذ يقول " ولكن حبه كان يستحى حتى من نفسه فينكرها وكان الفتى يخفى شعوره ، ذاك فى أبعد ما يمكن أن يستقر من أعماق ضميره ، ويكره أن

(١) الأيام طه حسين ص ٤٠
(٢) الأيام جـ٢ ، طه حسين ص ١٠٩

يتحدث به إلى نفسه ، وقد استيقن أنه لم يخلق لمثل هذا الشعور ، وأن مثل هذا الشعور لم يخلق له ، وأين هو من الحب ؟! وأين الحب منه ؟! " [١] ومن قبل تحدث صراحة وفى استيحاء عن فترة المراهقة مع هؤلاء الصبية زملائه فى الربع وهو معهم ، إذا كان يلم بهم ذلك الطيف الذى كان يلم بالشباب وبين حين وآخر (الاستحلام) ويتركهم محرجين فيغتسلون قبل أن يدركوا الفجر ، ومن صراحته حديثه عن عاهته التى ألمت به حتى نهاية حياته ليقول فى نهاية الجزء الثالث "وليس كل هذا بالشئ القليل (يقصد ما حققه من نجاح) وبعض هذا كان جديرا أن ينسيه كل ما لقى من جهد ، وما احتمل من عناء ، ولكنه كان يحمل فى نفسه ينبوعا من ينابيع الشقاء ، لا سبيل إلى أن يغيض أو ينضب إلا يوم يغيض ينبوع حياته نفسها ، وهو هذه الآفة التى امتحن بها فى أول الصبا شقى بها صبيا وشقى بها فى أول الشباب ، وأتاحت له تجاربه بين حين وحين أن يتسلى عنها ،بل أتاحت له أن يقهر ، يقهر ما أثارت أمامه من المصاعب ، وأنشأت له من المشكلات ولكنها كانت تأبى إلا أن تظهر له بين حين وحين أنها أقوى منه ، وأمضى من عزمه وأصبحت ميراثا من كل ما يفتق له ذكاؤه من حيلة " [٢] .

لقد كان طه حسين حساسا رقيق المشاعر لذا جاءت صراحته تقطر همسا وعذوبة وصفاء وتلقائية ، تقول د. رشيدة مهران إن نفسية طه حسين " رقيقة هامسة .. تعرفنا تلك الذات بكمالها ومثالبها ، بطموحها وآمالها ، بيأسها وقنوطها ، وهو وإن قدم لنا هذه الذات قدمها .. فى إطار البوح النفسى .. وكان يأخذ بمجامع النفس ، يخلق فى نفس المتلقى شعورا جازما بالتعاطف والحنو " [١] ويأتى كلام د. رشيدة مهران امتدادا لكلام د. شوقى

(١) مذكرات طه حسين ط . دار الآداب بيروت عام ١٩٦٧ ص ١٧٣
(٢) م. نفسه ص ١٥٣
(١) طه حسين بين الترجمة والسيرة الذاتية د. رشيدة مهران ص ١٨٥

ضيف فى قوله " بهذا الصوت العذب ، وهذا البوح الصريح عن حياته ، وكل ما اضطرب فيه من ضيق عيش ، أو ضيق حس ، يكتب طه حسين أيامه فيؤثر فى نفس قارئه تأثيرا بعيدا ويجذبه إلى متابعته ومشاركته مشاركة وجدانية " (١) .

٢-٢ تكتسب سيرة أحمد أمين (حياتى) قيمتها من صراحة صاحبها والتطرق إلى أمور كثيرة تعكس ضعف صاحبها وتواضعه ، ومنذ البداية يشيد بعنصر الوراثة والبيئة وأثرهما فى تنشئته حيث يقول " ولو ورث أى إنسان ما ورثت ، وعاش فى بيئته كالتى عشت لكان إياى أو ما يقرب منى جدا "(٢) ويعترف بنشأته فى بيت فقير (أكثر الحجر مفروشة بالحصر ، وفى حجرة النوم حشية ولحاف ومخدة ، وأدوات المطبخ فى غاية السذاجة"(٣) ويعترف بأنه ورث من أبيه " عناد وقوة إرادة وجلد على العمل وصبر على الدروس ، وسرعة غضب ، ميل إلى الحزن ، وكثرة تفكير فى العواقب ، وورث عن أمه سذاجة " وعدم حرص على مال .. وحسن ظن بالناس .. وندم على غضب ، وسرعة تحول من غضب إلى هدوء ، ومن سخط إلى رضا " (٤) ولا يتحرج من ذكر مواقف محرجة فى حياته كرجوعه من الأزهر ماشيا ومعه (الجراية) ينقلها من يده اليمنى إلى يده اليسرى ، وأن الزى الأزهرى (العمامة والجبة والقفطان) كان يحدث له حرجا من الناس فى الشارع خاصةعند الزواج " فذو العمامة فى نظرهم متدين ، والتدين فى نظرهم يوحى بالتزمت"(٥) ويعترف بتعثر مشيته وبشعوره بالغربة عندما ارتدى البذلة يقول " كنت أتعثر فى مشيتى فى

(١) الترجمة الشخصية د. شوقى ضيف ص١١٦
(٢) حياتى أحمد أمين ص١٠
(٣) راجع م . نفسه ص ١٣
(٤) م . نفسه ص١٩٩
(٥) م . نفسه ص ١٨٣

الشارع ، وفى الكلية خجلا من الناس ، ومنهم من يستحسن ومنهم من لا يستحسن"[١] ولا يتحرج فى الحديث عن علاقة أبيه بأمه ، فقد كان غليظا فى معاملتها، وكان يضربها فى حالات غضبه ، حتى عاشت كسيرة القلب مهيضة الجناح ولم يحملها على الاستمرار معه إلا حب أبنائها ، ويتحدث عن عاطفته وعلاقته بابنة الجيران ، فقد كانا يجلسان على كرسيين أمام دارها ، يتحدثان فى غير الغرام ، فلما وسوس الشيطان لأبيها حجبها عنى [٢] .

ويتحدث عن خلافات مع زوجته مردها طبعه الصارم ، وقلة ضحكه ، واعتقاده أن العقل هو الوسيلة الطبيعية للتفاهم فى حل المشاكل ، ولكن أدرك بعد ذلك أن المنطق لا ينفع فى التعامل مع النساء [٣] .

ومن صراحته وتواضعه عدم الإشادة بقدراته العلمية فيعترف أنه لم يكن بارعا فى الإنشاء ، بل كان بعض التلاميذ يكتبون خيرا منه ، ويعترف بأنه وهو مدرس فى المدارس الابتدائية كان غير متفوق فى الإنشاء [٤] ، ومن تواضعه وصراحته ما ذكره بعد ما تحدث عن نجاحه فى عمله عميداً لكلية الآداب وتأليف كتب قيمة (فجر الإسلام – ضحى الإسلام) وسفره فى مؤتمرات للمستشرقين أكثر من مرة ، يقول معقبا " وهذا وقد ترددت طويلا فى كتابة هذه الفصول .. لأن فيها لونا من ألوان التقريظ للنفس ، وهو لون لا أحبه وقد لا يحبه القارئ ، ولكننى فضلت أن أقوله ، لأنه – على الأقل – يصور للقارئ عقيدتى فى نفسي " [١] ، ويعترف بأنه لم يكن يثق فيما يكتبه ثقة كبيرة يقول "لست كثير الثقة

---

(١) م . نفسه ص ١٢٣
(٢) راجع م . نفسه ص ١٨٧
(٣) راجع م . نفسه ص ١٩٩ : ١٩٥
(٤) راجع المرجع نفسه ص ٨٥ ص ١١٨
(١) المرجع نفسه ص ٢٩٥

obeikandl.com

بنفسي ، ولا بما يصدر عنى ، فالكتاب أؤلفه ، أو المقال أكتبه ، لا أثق بحكمى عليه ... حتى يقرأه الناس ، فيحكموا بجودته أو تفاهته " (١) .

ومن صراحتة ما يصرح به .. أنه كان فى شبابه يتمسك بالمثل العليا ، لكنه فى شيخوخته وبعد ما اصطدم بالواقع المرير تنازل عن بعض هذه المثل يقول "لكم تمسكت فى شبابى بالمبدأ وإن ضرنى ، واستثقلت من عمل يدر على الربح لأنى رأيته يمس كرامتى .. وهاأنذا فى شيخوختى قد أقبل كا كنت أرفض ، وقد أتنازل عن بعض المبادئ التى كنت ألتزم " (٢) .

فهذه السيرة تتسم بين الترجمات الذاتية العربية فى الأدب العربى الحديث بحرص صاحبها على تحرى الصدق والصراحة والتواضع الخلقى ، بمبعدة عن الزهو النفسي كما تتسم بحظ عظيم من التجرد فى النظرة ، والإنصاف فى الحكم " (٣) .

٢-٣ كان الحكيم فى سيرته (حياتى) (٤) التى طبعت بعد ذلك بعنوان (سجن العمر) أكثر جرأة من أحمد أمين الذى – كما ذكر – حرصه ألا يقول كل شئ ، فوجدنا فى سيرة الحكيم الصراحة الأكبر مساحة عن سيرة أحمد أمين ، فلم يتورع توفيق الحكيم أن يذكر طبائع فى أمه وأبيه قد تخجل غيره ، أو يتحدث عن علاقته الخاصة بالجنس الآخر ... إلخ ، ومن البداية أشار إلى مقصديته - التى ذكرناها من قبل - فهو يريدأن يرفع الغطاء عن جهازه الآدمى ، ليفحص تركيب هذا المحرك الذى نسميه الطبيعة أو الطبع .. ليثبت أنه ميراث الأبوين ، ولا يتورع أن يذكر صفات

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٤٨
(٢) المرجع نفسه ص ٣٥٨
(٣) الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث د. يحيي إبراهيم عبد الدايم ص ٢٩٥
(٤) حياتى طبعت بدار الكتاب اللبانى بيروت عام ١٩٧٤ ، أما سجن العمر فطبعت بمكتبة الآداب بالجماميز بدون تاريخ .

أمه " طبعها الحديدى ، وما فيه من عناد وإرادة وإصرار مع ذكائها الفطرى " (١) ولها قدرة عجيبة فى إخضاع جميع من معها لإرادتها ، .. كان هذا شأنها مع أمها .. ثم زوجها فيما بعد ، ولكن لا يمنع ذلك أن تكون نقية السريرة ، صافية الروح " فهى طيبة القلب ، ولكن فيها روح شر ، خصوصا مع المعتدى .. أما والدى فهو طيب نادر الشر لكنه كثير الخبث ، قليل الصراحة .. وقد ورثت من كل هذا بنسب متفاوته" (٢) .

ويستطرد فى إيضاح أثر الوراثة ، موضحا أن لها الأثر الكبير ، فلم تترك له مساحة فى حياته إلا نسبة ضئيلة ، يتحرك بها فى سلوكيات حياته محاولا التصدى لهذه العوائق التى وضعها الأبوان والمجتمع فى وجهه يقول " فوالدى الذى أورثنى الإرادة تقف بإرادتها دون رغباتى الفنية .. حريتى الباقية لى إذن هى فرصتى الوحيدة ، وسلاحى الوحيد فى مقاومة تلك العقبات .. حريتى هى تفكيرى .. أنا سجين فى الموروث ، حر فى المكتسب .. وما شيدته بنفسي من فكر وثقافة هى ملكى ، وهو ما اختلف فيه عن أهلى كل الاختلاف (٣) ومن صراحته و تواضعه فى الحديث عن مساره العلمى ، فلم يظهر لنا نفسه فى صورة النابغة المتفوق ، بل يعترف برسوبه أكثر من مرة ، فى المرحلة الابتدائية " كنت بليد الفصل بحق هذه المرة " ورسب فى امتحان النقل للصف الثانى الثانوى رسوبا قبيحا ويتكرر الموقف نفسه فى مدرسة الحقوق ، وفى السنة الأولى أيضا (٤) .

ويعترف بتواضع مستواه العلمى والأدبى قائلا " فأنا لست سريع البديهة ، ولا حاضر الذهن مما يجعلنى أبحث سدى عن الكلمات والمعانى الهاربة من رأسى فى اللحظة

(١) حياتى توفيق الحكيم ص ١٧
(٢) م. نفسه ص ٢٨١
(٣)م . نفسه ص ٢٨٢
(٤) راجع م . نفسه ص ١٠٤ وص ١٢٣ وص ١٦٥

المفاجئة .. ويستولى على نوع من الفزع والارتباك .. وحتى القراءة من ورقة أتلعثم فيها إذا سلطت على عيون الأضواء " (١) .

ولا يتورع أن يذكر صفحات قاسية فى طفولته ، يقول " فأنا لا أذكر أنى تلقيت من أهلى لعبة من اللعب إلا مرة " (٢) ويذكر قسوة أبيه فى العقاب الصارم لمجرد خطأ صغير كتسلق جدار ، أو كسر زجاج فيأتى " بالفلقة ليضربنا ، فإذا أنا أتقبل العقوبة وأضرب بالفعل " (٣) ومن صراحته وهو طفل خوفه الشديد من مقرعة الشيخ مما يضطره إلى التبول على نفسه يقول " تفزعنى (المقرعة) وتلجم لسانى عن الإفصاح بحاجتى فكنت أكتم ما بى وأعود إلى البيت كل يوم وقد فعلتها فى سراويلى " (٤) .

ومن صراحته ذكره لقصة حب بريئة -كما ذكر أحمد أمين – مع فتاة صغيرة كان بين أسرته وأسرتها زيارات متبادلة ، فكما يقول " كنت أحلم ليلا بهذه الشقراء الصغيرة .. وكنت أتلهف على لقائها واللعب معها ، والغضب المكتوم والحسرة والحزن .. كلما لمحت منها اهتماما يغرى " (٥) ولكنه (الحكيم) أكثر جراءة (عن أحمد أمين) بعلاقات جنسية فى بيوت ساقطة يقول : " بدأنا نعرف المرأة كما كان يتاح لأمثالى مقابلتها وقتئذ فى تلك الأماكن المظلمة بحى وجه البركة وكلوت بك كلما استطعنا تدبير عشرة قروش فى ليلة جمعة – قبل ذلك ما كنا نعرف غير العادة السرية .. ولكنا منذ عرفنا بتلك البيوت المرخصة وقتئذ عرفنا الاتصال الجنسى المباشر بالمرأة (١) وهذا من التعرى وسوف نقف على هذا الملمح فى الصفحات القادمة .

---

(١) م .نفسه ص ٢٧٧
(٢) م .نفسه ص ٦٦
(٣) م. نفسه نفس الصفحة
(٤) م . نفسه ص ٧٤
(٥)م . نفسه ص ٧٣
(١) م . نفسه ص ١٤٢: ١٤٣

٢-٤ لم يتورع حنا مينا فى ثلاثيته (بقايا صور – المستنقع – القطاف) أن يرصد لحياته البائسة متنقلا من بلد إلى بلد دون مأوى أو بيت تستقر فيه الأسرة ، مصورا للفقر والضياع والتشرد لهذه الاسرة المعدمة ، تلجؤها الظروف إلى أن تخدم الأم وابنتاها فى بيوت الأغنياء ، لقد كان حنا مينا صريحا وصادقا فى تصوير حياته ، صراحة وصلت إلى مرحلة التعرى فى ذكر انحراف أبيه وشطحه فالأب يدمن الشرب (حتى يبول فى سرواله) ولا يستقر فى مهنة إلا وتركها خاسرا .. يبيع من الأثاث المتواضع للأسرة ويستدين من مرتب الأم وابنتيها مقدما من السادة الذين يخدمون فى بيوتهم .

ومن صراحته وصدقه ذكر بؤسه فى مرحلة الطفولة ، وشعوره بالمهانة والدونية فى المدرسة يحرم من حضور صلاة الأحد ، ومن المشى فى جنازة الأغنياء .. لرثاثة ثيابه ولم يتورع فى ذكر سلوكيات تصغر أصحابها من هذه المواقف أنه كان ينبش هو وأمه فى القمامة يقول " كنا ننتظر حتى تصل إحدى العربات ، فيهجم المجتمعون عليها ونحن بينهم ونقوم جميعا بالنبش فيها ، بواسطة عيدان وأسياخ حديد أو بأصابعنا بكل بساطة وكانت الخنازير تهجم بدورها تنازعنا النبش بخرطومها ، وهى تنفخ وتخمخم ، وتنشر رائحة كريهة ، وكثيرا ما كانت تجفل منا فتترك كومة القمامة[١] ويذكر وضاعة السكن الذى كان يسكن فيه من دعامات خشبية ، سيجوه بالقصب ، وطينوه بالصلصال المجبول بالتبن وسقف بنوع من القش يشبه الحلفاء بجواره خندقان يتجمع فيهما الماء فى الشتاء ليس به دوره مياه يقضون حاجتهم فى الخلاء .. تسبح الأفاعى والحشرات السامة فى

(١) المستنقع : حنا مينا ص ٦٠ ، ٦١

المياه التى تتجمع فى الشتاء يكثر البرغش والذباب فى الصيف .. مما يؤدى إلى انتشار أمراض الملاريا والديزنطاريا ... (١) .

ومن صراحته ما ذكره عندما ذهب إلى بيت البغاء وهو طفل مع زملائه نهاية احتفالات المرافع ، ورغم أنه كان طفلا لا يدرك أبعاد هذا الموقف ، يصور هذا الموقف "كنت خائفا قليلا ، كان شئ مشين يجرى أمامى ، وفكرت فى أمى فاستشعرت ذنبا كبيرا، بدت لى الحياة غريبة متناقضة تمثلت وجه الأم ، ووجه العذراء ،وصور النساء القديسات وافتقدت ذلك الطهر ، وأنا أشهر حمأة الرذيلة ، فاستولت على كابة تدفع إلى الفرار (٢) ومن صراحته ما يذكره عندما ذهب للعمل مع أبيه فى الصيف للقط سنابل القمح وإذا به يفتقد هو وأبوه الماء ، لفقدهم الطريق فى هذه الأرض الواسعة ، ويظلان فترة طويلة ، أوشكا فيها على الهلاك وفجأة عثر أبوه على ماء ، بعدما كان حامله على يديه فى مسيرة للبحث عن الماء (٣) .

ومن صدقه وصراحته تتبعه لفترة مراهقته فيذكر أنه عندما كان يعمل في مقهى يورغو أعجب بزوجته التى أكرمته لحديث زوجها عنه بالأمانة والإخلاص فى العمل يقول " فلما جئتها بعد ذلك أكرمتنى ، ودللتنى ، وهذا ما دفعنى ، بإحساس عاطفى مبكر إلى أن اشترى لها الحلوى والمكسرات ، حتى أطمعتنى فهجمت عليها وقبلتها ذات يوم ،فدفعت ثمن قبلتى الأولى غاليا ، لأن الزوجة الشابة هددتنى أن تشكونى لزوجها .. فرجوتها ألا تفعل ، وراحت تطلب كثمن للسكوت أشياء إضافية ، وكنت أشتريها لها وأنا أكتم السر عن الجميع (١) .

---

(١) راجع م . نفسه ص ٥١ ، ٦٤ ، ٦٥
(٢) م. نفسه ص ١٦٤: ١٦٥
(٣) راجع م . نفسه ص ٤٠٠
(١) م . نفسه ص ٤١٢: ٤١٣

وتتبع هذه الفترة أحلام بالمرأة وتفكير عميق فى الاتصال بها يقول " لكن الليل ما يكاد يقبل حتى تعتادنى أحلام داعرة ، وحتى تسيطر الأنثى على مشاعرى ، فيستيقظ بى ما كان مكبوتا (١) وتتفتح مشاعره على رئيفة التى تعمل مع أبيها فى حق الزيتون، ولكن لظروفه الصعبة قتل هذا الحب فى مهده ، ولكن تفجره جنسيا وعاطفيا جعله يعيد أحكامه فى جرى أبيه وراء النساء يقول " عرفت النساء ، وكنت كوالدى ، قادرا أن أهب حتى قميصي الوحيد ، فى سبيل امرأة ، ولهذا ربما غفرت لوالدى ، رخاوته أمام المرأة (٢)

ومن صدقة وصراحته اعترافه بضعف إرادته فتمنى غير مرة أن يكون فى جرأة أبيه أو أخته .. إلخ .

٢-٥ كان الصدق ملمحا بارزا فى سيرة خليل حسن خليل (الوسية) فمن أول مشهد من مشاهد السيرة نرى الأسرة تحاول تهريب أثاث المنزل المتواضع المحجوز عليه ، حتى جاء يوم واستطاعوا الحجز عليه قبل تهريبه لبيت الجيران ، وتلى هذا المشهد الحجز على الأرض وبيعها ، ثم بداية دراسته البائسة يمنحه أبوه قرشين فى الأسبوع يعيش مع ثلاثة من زملائه فى بيت متهدم بكفر صقر أرضيته من التراب ، وسقفه من سعف النخيل وحيطانه مطلية بالطين المجبول بالتبن ، فراشهم (الأربعة) حصيرة ينامون عليها .. غزل العنكبوت والدخان المتصاعد من الموقد فى الشتاء يحول الغرفة إلى كتلة من الرماد وبعدها يلتحق بالمدرسة الثانوية فى الزقازيق يعانى من شدة الفقر ، حتى أنه كان يعتمد على وجبة الغذاء فقط مما اضطره إلى السرق من مطعم المدرسة لبقايا الأكل الفائض من زملائه ، و يفصل من المدرسة لعدم استطاعته دفع القسط الثانى ثم يذهب إلى وسية الخواجة للعمل بها ، كاتب

(١) القطاف حنا مينا ص ٧٥ ، ٧٦
(٢) م .نفسه ص ١١٧

أنفار بخمسة وأربعين قرشا طعامه العيش الأذرة والمخلل مسلسل من الصراحة والصدق الصافى حتى أنه من تعوده على هذا الطعام الخشن لم تستحمل معدته عشاء جميلا أرسلته أمه إليه فرخة محمرة محشوة بالأرز المتبل بالفلفل والبهارات فأصيب بإسهال (١) ، ومن مواقف الصدق – هنا – رضاؤه بأكل الأذرة البيضاء والفسيخ والبطيخ فى الغداء – هو والشيخ سليم – مقابل أن يكتب المقاول عشرين نفرا زيادة (٢) ويعترف برضا أمه عن إرسال محمد خطاب لزكيبة قمح وعلى أبو حطب لأردبين – لأنهما كانا يسرقان من الوسية ورآهما حسن – ولكن يعترف بأن ذلك مزقه من الداخل يقول " بهذين الأردبين من القمح بالإضافة إلى زكيبة القمح التى بعث بها محمد خطاب إلى أسرتى ، بدأت عملية الإفساد التى فرضها على مجتمع الوسية تضيق الخناق على وتعمل على تشويه وجدانى (٣) ،ويعترف بضعفه أمام الخواجة عندما طرده وتبعه جريا وراءه – فلم يقف فى وجهه ،لأن الخواجة أقوى منه ، فهو ما يزال غضا (فى السابعة عشرة من عمره) ولم يدع العنترية والشجاعة(٤) .

ومن الصراحة ما يذكره أثناء الكشف الطبى عند التحاقه بالجيش فى قوله "أمرنا أن نخلع ملابسنا جميعا وكشفت العورات كلها ، وخجلت كثيرا من منظرنا ،وسترت نفسي بيدى (١) ، ومن صراحته – أيضا ذكره استهانة الضباط بهم ، وتوجيه الكلام المؤلم، كقول أحدهم ، أى واحد منكم كانت أمه تستطيع أن تدفع له عشرين جنيها بدل معافاة

(١) راجع الوسية خليل حسن ص ٧٤
(٢) راجع م . نفسه ص ١٣٣
(٣) م . نفسه ص ٢٢١
(٤) راجع م . نفسه ص ٢٣٦
(١) م . نفسه ص ٢٤٥

من العسكرية ما كان جاء إلى الجيش وقول الاخر لا وحياة أمك أنت وهو ... ولو كانت أمك أنت وهو تستطيع تطعمكم ما كنتم تطوعتم فى الجيش (١) .

ويقول تعليقا على هذين المشهدين " وبذلك أصبحت الشتائم والإهانات جزءا لا يتجزأ من حياتنا الجديدة ، وتقلبناها كقيمة أساسية من قيمها (٢) ومن المواقف التى تعكس لنا صدقه فى الجيش – أيضا - ضيقه من نظام المراسلة (الذى يتحول فيه الجندى إلى خادم للضباط) وقد عانى منه عندما عين رئيسا لمكتب القائد ، ووصل الأمر إلى أنه كان مكلفا بمسح حذاء القائد ، لولا أنه تخلص بسرعة بأمر جندى معه قطعه قماش ليقوم بالمهمة (٣) ومن صراحته الاعتراف بحب عالية ابنة خاله ولكن للفارق الاجتماعى جعله يضع حداً لهذه العلاقة ، قاتلا عاطفة الحب فى نفسه ، ومن مواقف صدقه – أيضا- اعترافه برسوبه فى شهادة الثقافة فى مادتى (الجبر واللغة الإنجليزية) ثم نجاحه فى العام التالى (٤) ومن اعترافاته الصريحة مجيئة بشهادة فقر حتى يعفى من الرسوم فى كلية الحقوق (٥) .

والملاحظ على مثل هذه المواقف ، أنها لا تتجاوز حدود الحياء ، وفى الوقت نفسه تساعد على إبراز شخصيته وإرادة صاحبها القوية ، ولا تعد شيئا مشينا فى حياته فالصدق يضفى على السيرة المصداقية ، وثراء النص ، وتأثيره فى المتلقى ، لأنه يعايش صاحب هذه المواقف والأحداث الإنسانية .

---

(١) م . نفسه ص ٢٥٢ وص ٢٥٤
(٢) ام . نفسه ص ٢٥٥
(٣) المرجع نفسه ص ٣٣٥
(٤) راجع المرجع نفسه ص ٣٧٦ ، ٣٧٧
(٥) راجع المرجع نفسه ص ٤٠٥

-٣-

٣-١ الصورة المقابلة للصدق والصراحة التعرى ، فالتعرى صراحة تتجاوز حدود الحياء وحدود ما يتنافى مع العرف والعادات والتقاليد ، وللتعري فى أدب السيرة العربية صورتان الأولى علاقة الرجل بالمرأة ، والثانية علاقة صاحب السيرة بأبوية، أماعن الصورة الأولى فإذا كان د. يحيي إبراهيم عبد الدايم عام ١٩٧٠ قد نعى على السيرة العربية أنها لم تصل إلى مرحلة التعرى كنظيرتها فى الأدب الغربى عند جان جاك روسو ، وأندرية جيد ، فإن كتاب السيرة قد حققوا له ما فات على السيرة العربية وتحدثوا بدعارة مزعجة عن علاقة هؤلاء بالنساء ، بدءا من إشارة الحكيم – كما مر بنا تسلله – وهو وأصحابه إلى بيوت البغاء ، ثم بخالد محمد خالد وحديثة عن العادة السرية وعبد الله الطوخى فى حديثة عن العلاقة غير الشرعية مع أكثر من امرأة ويبلغ هذا المنحى ذروته عند محمد شكرى فى سيرته _الخبز الحافى – الشطار) أما الصورة الثانية وتتمثل فى تعرية علاقة الابن (كاتب السيرة هنا) بأبيه فنجدها عند حنا مينا وتبلغ الذروة فى التعرى وعدم الولاء عند محمد شكرى .

٣-٢ علاقة الرجل بالمرأة فى السيرة العربية جاءت مغلفة بالحياء عند كثير من كتاب السير ، وجدناها عند طه حسين فى حبه البرئ لزوجة المفتش التى تقاربه فى السن ولم يذكر كلمة حب بل إعجاب وارتياح ، وذكر حبه البرئ – أيضا – لسوزان وكتابته لها فى حياء عن رغبته فى الزواج منها وبعدها بمدة جاء الرد بالإيجاب حتى ما يطرأ على الشباب فى مرحلة المراهقة من فوران (جنسي) ذكره طه حسين فى استيحاء بأنه كان يلم به ما يلم بغيره من الشباب من أحلام ويستيقظون قبل الفجر محرجين – للاغتسال للصلاة وجدنا أحمد أمين يتحدث عن علاقة حب بريئة مع فتاة فى سنه تجاورهم ، يلتقيان فيتحدثان – فى حديث غير الحب أمام منزلها

ثم منعها أبوه ، وجدناه عند خليل حسن خليل فى حب عالية الطفلة الرشيقة الجميلة ، ثم الفتاة الناضجة الجميلة – أيضا – ولكن الظروف حالت دون الزواج منها ... إلخ

وجدناه عند بنت الشاطئ ، التى أخذت تفكر فى أستاذها قبل اللقاء به ، حتى إذا رأته ارتبطت به أكثر ، ورغم زواجها منه (أمين الخولى) تحكى عن الوداع دون أن تذكر كلمة (الحب) لترثى أجمل فترة عاشتها معه ... إلخ

أما العلاقة فى صورة (الالتحام الجنسى) فكانت أول إشارة لذلك – كما مر بنا – فى سيرة توفيق الحكيم حين ذكر تسلله – هو وأصحابه – ليلة الخميس إلى بيوت البغاء فى حى وجه البركة وكلوت بك .. وقبلها كانوا يمارسون العادة السرية ، وعن العادة السرية يتحدث خالد محمد خالد بإسهاب عن ممارسته لهذه العادة السيئة وكم عانى من جهد حتى تخلص منها ، ولكنه يذكر موقفا متعريا للغاية فى قوله " كنا ننام (هو وأخوه يوسف) معا فوق سرير عريض وفسيح ويضمنا غطاء واحد مسدل وعريض ، فى ليلة من تلك الليالى أرقت ، وتجافى النوم عنى وأخذنى الحنين إلى العادة الملعونة .. وأخى يوسف مستغرق فى أحلى نومه واسترسلت فى عبثى .. وغدا لوح خشبى من "ملة السرير" يهوى إلى الأرض ، وإذا بقية الألواح تتداعى له – وتتضامن معه فى فرقعة شديدة ، وإذ بنا نطرح أرضا فوق الألواح المتقعة ..وحرك المشهد الأليم مغايظ أخى الذى صرخ فى وجهى قائلا يعنى الهباب اللى بتعمله ده ، ما حبكش إلا دلوقت .. ؟ وراح يرغى ويزبد وأنا أكتم ضحكاتى (١) ولست أدرى مالداعى لسرد هذا الموقف الذى – فى ظنى – يضر أكثر مما يفيد؟! فالسيرة التي تعكس لتطور حياة صاحبها فكريا وعقليا وروحيا والظروف التى

(١) قصتى مع الحياة ، خالد محمد خالد ط أخبار اليوم (القاهرة) عام ١٩٩٣ ص ١٩٦

أحاطت به وتجاوزها فما الذى يضيفه هذا الحدث لسيرة صاحبها من ثراء ، سواء عرض لموقف معيب كان أولى به –وخاصة أنه كتب سيرته فى مرحلة الشيخوخة سن رجاحة العقل – أن يتجاهله وينساه رغم أنه قد لام نفسه ، ولام مثل هذا التصرف – (أدب الاعتراف) عنده وعند غيره ، فلماذا يذكر (أدب الاعتراف) وهو يرفضه قائلا " لابد أن يحكى فى أضيق الحدود مراعيا الأعراف والقيم والتقاليد ! [١] .

ويتعارض أيضا معه قوله " أريد أن أنقل بصدق وتبيان مفردات حياتى وتجربتى عسى أن تضئ علينا من وضوح الرؤية ما يفيدنا ويهدينا سواء السبيل [٢] ونوافقة فى الصدق الذى يهدى إلى سواء السبيل لوضوح الرؤية – ولكن مع هذا الموقف (المخل) لا نجد هداية ولا رؤية واضحة ... إلخ .

بمبدأ الصدق يعرى عبد الله الطوخى نفسه فى قوله " فهل أستطيع أن أروى تجربتى الشخصية ؟! .. المهم هو أقصى قدر من الصدق .. ومن الشجاعة .. لم لا ؟ [٣] وإن أشار – فى إيحاء – إلى الاستحلام واستحمامه فى إحدى الغرف الفارغة من بيتهم حتى يتاح له الصلاة [١] ولكن بعد ذلك يروى مواقف صغيرة منها تسلقه على (ماسورة المياه) حتى الدور الثالث لرؤية الخادمة سعدية وهى تستحم فى الحمام ، وخجلة ورجوعه بسرعة[٢] ، ويذكر بعدها لمحاولة ممارسة الجنس فى بيت البغاء فى حى الخبيزة بالمنصورة ووقع مع امرأة كبيرة فى السن يصف هذا المنظر هالنى المنظر كرمشات ، جلد على عظم ، كانت فوق السبعين أو الثمانين – وتخيلتها جثة ممصوصة ماتت وستأخذنى

---

(١) م . نفسه نفس الصفحة .
(٢) م . نفسه ص٦٧
(٣)عنيان على الطريق (التكوين)عبد الله الطوخى الهيئة العامة للكتاب –مهرجان القراءة للجميع عام٢٠٠٢،ص ١٥٢
(١) راجع م . نفسه ص ٦٩
(٢) راجع م . نفسه ص ١٩١

وانتابتنى قشعريرة ، مع إحساس مفاجئ بالغثيان ، قلت لها : لحظة واحدة .. خارج وراجع .. وفتحت الباب وخرجت أعدو ، هاربا بجلدى وروحى [(١)] ويعترف بارتكابه الفحشاء مع الخادمة (خديجة) وقد كان من قبل مترددا ، ويربط الزنا بالنجاسة والحرام ولكن لتبرير أصحابه له بأن ما يفعله ليس بزنا ولا حرام (لأن الزنا كما يرون هو أن تزنى بامرأة على ذمة رجل) فيحلل لنفسه ما هو متيقن من داخله أنه حرام ، ويلتقى بخديجة وكان السقوط كما يقول " قد تم بسرعة مذهله ، لقد تبخرت من نفسى الصراعات القديمة بين الخير والشر ، وبين الحلال والحرام .. كنت كثمرة ناضجة ومهيأة للسقوط من أبسط لمسة ، بل من أبسط نظرة .. أنا المسئول وليست هى ، أنا الذى تخيلت وخططت ودبرت وأنا طريح الفراش .. وحين انتهى الأمر ، ورأيت أن الأفلاك كفت عن الدوران والبركان أخرج كل حممه تمنيت لو أنه كابوس أو حلم وهيب سرعان ما استيقظ منه ..

إلا أن حشرجة الأنفاس وصوت اللهاث ، ورائحة البلل وشعرها الخشن المنفوش وفخذيها العاريين ، وهى تهبط من على السرير، وتخرج من الحجرة وتقفل الباب خلفها كأنما تعلن انتهاء المشهد ، وتسدل الستار.. وجدتنى وحدى ، وقدتحول السرير إلى مستنقع أنا ساقط فيه [(١)] رغم ندمه يعود لتكرار هذا السلوك إلا أن الأحداث سارت بعد ذلك على نحو مأساوى ومدمر.. فقد وجدتنى منساقًا ومسلوبًا للمرة الثانية والثالثة والرابعة..وداخلنى الإحساس بأنى أصبحت شيطانا بحق .. شيطانا يتخذ صورة ملاك ويخدع الآخرين ، بطيبة وجهه البادية [(٢)] .

---

(١) م . نفسه ص ١٨٦ : ١٨٧
(١) م . نفسه ص ٢٩٦ : ٢٩٧
(٢) م . نفسه ص ٢٩٨

ويعيد الكرة مع امرأة أخرى جاءت تسأل عن صديقه (عاصم) كان يبدو فى صوتها ونظراتها العجلي ، وأنها تريد ألا يراها أحد .. أشرت لها بالدخول فدخلت، وأغلقت خلفها الباب وإذ عرفت أن عاصم غير موجود استأذنت لتخرج ، وإذ بى اعترض طريقها .. ولا أغرق فى تفاصيل ما حدث بعد ذلك فقد وجدتنى اشتبك معها فى معركة ضارية انتهت باستسلامها .. وانتصارى(١) .

يبلغ التعرى مداه عند محمد شكرى فى سيرته (الخبز الحافى – الشطار) فتكاد السيرة تسرد لعلاقاته الباغية مع النساء ، ولعلاقته المتصدعة مع والده - الذى كما وصفه بالأخلاق المتردية - فعلاقاته بالنساء ووصفه لتصرفات وأخلاق أبيه تستحوذ على ثلثى سيرته ، والثلث الباقى لسيرته العملية (التى جاءت على الهامش منذ التحاقه بمدرسة المعتمد بن عباد فى العرائش ثم التحاقه بمدرسة المعلمين ثم عمله معلما وإلى جانب سيرته العلمية فى الثلث الباقى من السيرة – تسرد لعلاقته بأصدقاء عدة نذكر منه الزيلاشي والسبتاوي التفرسيتى – كوميرو – المختار الحداد – روساريو – لوشوفاليي .. إلخ) .

تطالعنا السيرة بنزوحهم إلى طنجة وأملهم فى إيجاد الأكل الذى يملأ البطون الخاوية وكان رد " أبيه على أخيه (عبد القادر) الذى يعوى من الجوع لوى العنق والموت يصف هذا المشهد " يلوى اللعين عنقه بعنف ، أخى يتلوى ، الدم يتدفق من فمه ، أهرب خارج بيتنا – يسكت أمى باللكم والرفس .. فى الصباح انتحبنا أيضا ، تلك أول مرة أذهب فى جنازة ، أخى منعوش ، أرتجف أبكى (١) أب بهذه الصورة من القسوة بدهى لا ينسجم مع هذا الابن فيهرب منه ليعيش فى الشوارع والمقاهى والحانات والفنادق والمقابر ليلتقى بالعاهرات وبالساقطين (من الرجال) وتتحول السيرة – فى معظم صفحاتها – إلى

(١) م . نفسه ص ٣٠٦
(١) الخبز الحافى محمد شكرى ط دار الساقى ط٩ عام ٢٠٠٦ ص ١٢ ن ١٣

مشاهد لممارسة الجنس بكل أنواع الشذوذ (الجماع الشاذ – اللواط – الاستمناء) نساء كثيرات مارس معهن البغاء نذكر منهن للاحرودة – إبريس فوبرتى – سلافة – ليلى البوالة – نعيمة – خديجة – كريستو بالينا – كنزة – كانديدا ... إلخ) العجب العجاب أنه يبدأ تفتحه فى عالم الجنس بوصفه لمشهد جنسى مع أمه وأبيه وكان أول منظر يراه فى هذا العالم يصفه " وصفا غير متورع يقول : " فى الليل أيقظتنى مثانتى الممتلئة ، قبلات تصفق – لهاث يتلاحق همسا .. لحم يصفق تفو ؟! ..

- ويستخدم الحوار فى تصوير هذا الموقف
- ها أنا ليس بعنف ، ليس هكذا ، انتظر .
- أقول لك هكذا .. يصفعها
- كلا .. كلا تؤلمنى .. هكذا ، هكذا أحسن لا . لا .. ليس هكذا .. نعم هكذا لابد أن يكونا مصابين بالحمى ، لهاث ، قبلات ، تأوهات ، لهاث ، قبلات ، ... يأكلان بعضهما ..
- م . م . م ...

يطعنها ، تأوه طويل خفيض ، شهيق قتلها ،أحس مثانتى ، تفرغ السائل الساخن يتدفق بلذة بين فخذى (١) .

بهذه الصورة المكشوفة الفاضحة كان حديثة عن الجنس مع كل من مارس معها يصف مشهد لقائه مع للاحرودة (أول امرأة مارس الجنس معها) قائلا : " أدارت لى ظهرها ، فككت لها رافعة صدرها ، متأملا بشهوة الزغب الخفيف عند منبت ظهرها .. قصيبى ينتصب ، شرعت أفك إذرار بنطالى باضطراب قلبى يخفق بعنف ، هذه المرأة

(١) م . نفسه ص ٢٦ وص ٢٧

obeikandl.com

ستتركنى أدخل فى لحمها كما تدخل السكين فى اللحم .. أمسكت قضيبى (ويصدر منها تأوهات) آى . آى . آى . ليس هكذا .. أخ . أخ أنه لحمى يا ولد وليس حلفاء .. تدير لى ظهرها اشتهى أيضا مؤخرتها (١) .

إنه يصور المشهد وكأنه مشهد سينمائى ، أو مشهد فى فيلم داعر ، يذكره بكل حذافيره ويتكرر المشهد مع الاختلاف فى الإخراج من امرأة لأخرى ، فيصف لقاءه بإيريس فوبرتى بقوله " تعريت من كل ثيابها ، شيئها ليس حليقا .. انتظرت أن تغتسل .. تمددت على الفراش رافعة ساقيها ثدياها صارا الآن مثل خبزتين صغيرتين مدورتين ، لم تقبض علىّ بمقصها ، تمددت مثل تونه كبيرة .. آى . آى . لحظة سل شيئك سأغير وضعى...إلخ (٢) .

مشاهد متوالية للجنس بهذه الصورة الفاضحة تتوالي فى السيرة (تخلعه، يخلعها يلحس لها وتمص له (شيئه) ينامان فى دعارة مع إيقاع صوتها المثير وغنجها الداعر ، لا يستحى من أى ألفاظ فى هذه المشاهد كقوله عن لقائه بسلافة " أنا ألح على الولوج ، وهى تلح على الحك ، تضغطه ، تخنقه ، انتشلته من يدها ، نتداخل .. تضمنى إليها بساقيها وذراعيها ، قلت له ، اجعل نفسك قويا معها ، كن صديقا لشيئها أيها الأعور (١) هذه المشاهد تتكرر مع عاهرات عدة منهن ليلى البوالة (التى لم تبل معه ص ١٦٧) ومع نعيمة التى " لا عمل لها سوى أن تفتح لى أو لغيرى فخذها " (٢) .

---

(١) م . نفسه ص ٤٤
(٢) م . نفسه ص٤٨
(١) م . نفسه ص ٣٥
(٢) م . نفسه ص ١٩٩

ومع خديجة السريفية ص ٢٢٢ ، ومع امرأة سوداء قصيرة ، ومع شريوطة [١] ولم تقتصر ممارسة الجنس عند محمد شكرى على الدعارة مع النساء ، بل تطرق طويلا لممارسته بالاستمناء بالعادة السرية ، أو مع أى حيوان أو جماد يقول " استمنى على المحرم والحلال من الأجسام " [٢] ويقول عن العادة السرية " قضيبي يدغدنى كل يوم أهدهده بأصابعى كأننى أهدهد ألم دمل أنتظر أن يتقيح ، ينتصب يمتلئ يستوى شيئا فشيئا ، حتى يحمر ، ويعرق لاهثا ، صرت مشغولا به وحده [٣] . فمحمد شكري يمارس الشذوذ مع كل شئ حيوانا أو جمادا يقول " الدجاجة العنزة الكلبة العجلة تلك كانت إناثى ، الكلبة أخرق لها الغربال المثقوب فى رأسها ، أربط العجلة .. [٤] .

ويحفر فى جزع الشجرة شكل الأعضاء التناسلية للمرأة على هذا الشكل حفرتى النهدين والفم وحفرة بين الفخذين [٥] ويمارس اللواط مع طفل استدرجه – فى زيارته لوهران عند خالته وسط سنابل القمح وفجأة ضمه إليه " حتى صار جسدين فى جسد يخمشنى أعضه فى رقبته ، يكف عن الصراخ والاهتزاز يستقر ذقنى فى ذقنه ، ألمس عضوه بيدى ، ينتصب شيئه فى يدى ، يتلذذ أبوس رقبته ، شعره وجهه [١] ويحكى موقفًا جنسيا مثيرا مع رجل إسبانى اصطحبه فى سيارته وفجأة قرب منه وأنزل (الأسبانى) له بنطاله ثم أخرج شيئه وبعدها أخذ يلحسه بمصه ، يهيج منبت خصيتى بأصابعه ، أحسست بأسنانه وإذا هو عضه من كثرة اللذة – قذفت فى فمه [٢] وبعدها أعطاه خمسين بسيطة

(١) راجع الشطار محمد شكرى ط٤ دار الساقى ٢٠٠٠ ص ٤٢
(٢) الخبز الحافى محمد شكرى ص ٣٣
(٣) م . نفسه ص٣٥
(٤) م . نفسه ص ٣٣
(٥) م . نفسه ص ٥٩
(١) م . نفسه ص ٦٧
(٢) م . نفسه ص ١٠٦

ولا يتورع أن يذكر – لتشرده فى الشوارع والميادين – أنه كان يتلاقى بالشواذ ومنهم من راوده عن نفسه مناديا عليه (فأين ماشى هذا الغزال) ولولا هروبه لمارس معه (هذا الرجل الذى لا يعرفه) اللواط (١).

بهذه الصورة من التعرية الفاحشة تكون سيرة محمد شكرى قد تجاوزت – إن لم تتساو – الصراحة العادية فى أدب السيرة فى الأدب الغربى عند تولستوى ورسو وجيد فقد كان رسو مبالغا ومسرفا فى التعرى النفسى مباهيا بهذا الانحراف ، وقد حذ حذوه جيد وكير كجورد الذى تجاوز الحد فى الإشادة بشذوذه الجنسى خاصة مع الغلمان والساقطات والبغايا (٢).

والعجب العجاب ما يحلله د. صبرى حافظ لتناول الكاتب للجنس بهذه الصورة بأنه " يحرص على تخليص الجنس من هالاته الشبقية ، وتحريره بعد أن فصله عن الحب والعواطف من كل الأوهام الانفعالية ، ليتحول إلى فعل جسدى عضوى ، وليصبح سرد هذا الفعل فى تفصيله المملة نوعا من طقس تجريده من كل الهالات التى أحاطت بها مقارع التحريم (٣)

وفصل الجنس عن الحب يتفق ومنطق الدعارة ، ومعروف فى المجتمع الغربى إطلاقهم على الجنس (ممارسة الحب) فالحب والجنس وجهان لعملة واحدة وهى العلاقة بين الرجل والمرأة .. ناهيك عن إطلاق مثل هذه الأحكام التى تشبه الفرقعة الشكلية المفرغة وهذا ما لا نرتضيه فى الدراسات النقدية

---

(١) راجع م . نفسه ص ١١١

(٢) راجع الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث د. يحيي عبد الدايم ص ١٤٦-١٤٧

(٣) البنية النصية لسيرة التحرر من القهر د. صبرى حافظ . دراسة ملحقة بالشطار ص ٢٣٠ ط دار الساقى ط٤ عام٢٠٠٠

وقد وصف د. إحسان عباس مثل هذه الصراحة (أقصد هنا التى انتهجها محمد شكرى وأمثاله) بالصراحة الكاذبة ، ورأى أن الدراسة المتعمقة قد دلت على أن روسو أكبر مشوه للحقائق ، وأن يوميات جيد من أقرب اليوميات إلى الصراحة الكاذبة (١)

وفى ظنى أن ما ينطبق على جيد وروسو ينطبق على محمد شكرى ، ويطلق علماء النفس على أمثال هؤلاء بأصحاب الوجدان اللعوب ، وهم مشغوفون بالمغامرة ، والعب من مشارب اللذائذ وتذوق مختلف ألوان المتع ، إشباعا لنهم الحواس ، وانقيادا لشتى الأهواء إلى الحد الذى تشمئز منه النفس السوية ، وتعافه وتمجه ، وهذه النظرة تدل على عدم الانسجام مع الواقع ، وتعتمد على اللحظة الحاضرة ، بغية ملء ما يحس به صاحبها من نقص ، لكنه يغالط نفسه حقيقة ، ويكذب على نفسه حين تبع هذا المسلك ومن ثم يظل ضمير صاحب هذا المذهب فريسة جامحة ، ويظل دائما يرى أن الأفضل لا طعم له إذا استمر ، ولذا يقطع ديمومته ليعيد الاستمتاع به ، وهذا ما يتحقق بأى شئ ولا يحمل عادة على محمل الجد (٢) .

٣-٢ من صور التعرى فى أدب السيرة الذاتية العلاقة بين الأب وابنه ، والتى لا نجد نشوزا فيها إلا عند كاتبين هما محمد شكرى ، وحنا مينا فمر بنا افتتاحية سيرة محمد شكرى لسيرته بقتل والده لابنه الطفل (عبد القادر) لا لجريمة اقترفها ، ولكن لبكائه الكثير من الجوع ، أب بهذه الفظاظة وحدة الطبع لا غرابة أن يعرى ابنه (محمد شكرى) علاقته به ، علاقة العداوة الصريحة ، حتى أنه يقول لو تمنى لأحد الموت لتمناه لأبيه ، وعندما أوشي أحد الجنود على أبيه (لهروبه من الخدمة العسكرية) فسُجن (أبوه) وبعد خروجه يقول محمد شكرى أتمنى أن يعثر أبى على

(١) راجع فن السيرة د. احسان عباس ص١١٥
(٢) راجع الوجدان : عادل العوا دمشق مطبعة جامعة دمشق عام ١٩٦١ ص ١١١ ، ١١٢

ذلك الجندى الواشي ويقتله حتى يطول غيابه أحب غيابه حيا أو ميتا [١] فهو لا يذكر أباه إلا بسوء معددا صفاته السيئة مستلذا بطالته ينام كثيرا ، يأكل مثل خنزير ويتناول النشوق ، ويعود – أحيانا – ثملا إلى المنزل ، ما زال يسب الناس دائما والله أحيانا ، لا يحب أحدا فى هذا العالم ، إذا اقتربت منه قطة يمسكها من ذيلها ويخبطها مع الحائط " [٢] .

ويبرر لسوء طبعه بالوراثة ، فأبوه كان سيئا مع أبيه "لطم أباه وركله وسبه أمامها (أمه) فى الريف ، لابد أن تكون شجرة عائلته من المجرمين والملاعين والمجانين [٣] .

ويعكس لنا الكاتب أن الأب كان سيئ الخلق معه ومع أمه ، فلم يحن عليه ولم يعطف عليه ولا على أمه فى أى موقف من المواقف فما إن شب هذا الطفل وذهب إلى العمل ، إلا وجاء أبوه وأخذ أجره من صاحب العمل الذى يعمل عنده (فى المقهى – فى معمل الفخار) ومن هنا بدأت الشقة فهرب من البيت ولكن أباه كان يتربص به ويمسكه من قفاه ، ويضربه ضربا مبرحا فى الشارع قبل أن يأخذه إلى البيت [٤] وفى يوم من الأيام مسكه (أبوه) فى الشارع وكان معه صديقاه (السبتاوى وعبد السلام) وإذا به يمسكه من لياقته وينهال عليه ضربا ، فتدخل صاحباه " ضرباه باللكم ، ونطحات الرأس رأيته يغطى وجهه بيديه ، والدم يسيل من بين أصابعه بغزارة .. وقفت بعيدا أنتظر نهاية المشهد ، تمنيت لو أنى أشاركهما فى ضربه ، لو كان فى مكان خال من الناس لشاركتهما ، كان عزاء لى أن أراه يضرب على مرأى منى حتى يسيل دمه [١] .

---

(١) الخبر الحافى محمد شكرى ص ٢٦
(٢) م . نفسه ٧١
(٣) الشطار محمد شكرى ص ٥٩
(٤) الخبر الحافى محمد شكرى ص ٧٤ ، ٧٥
(١) م . نفسه ص ٧٥

لقد وصلت العلاقة بينه وبين أبيه مرحلة لا رجعه لها ، فقد شك الوالد أن يكون هذا ابنه يقول (الوالد) مخاطبا إياه " لست إلا ولد القحبة .. ربما نام مع أمك رجل آخر أرى أنك لا تشبهنى فى شئ ، ربما تشبهه[١] ، وظل هذا الكره حتى بعدما فارقه ابنه ست سنوات ، حصل فيها على الشهادة الابتدائية (من مدرسة المعتمد بن عباد فى العرائش) والتحق بمدرسة المعلمين ، ولم يفرح الأب لنجاح ابنه رغم حسد الآخرين له على هذا النجاح وقال إنهم أخطأوا فى إنجاحه[٢] ، لقد رجع محمد لزيارة أمه المريضة فى المستشفى التى لم يزرها زوجها لجحوده وقساوة قلبه ، وعندما ترك حقيبته فى البيت رجع وجدها مبعوجة لأن أباه أراد أن يحرقها ، لولا تدخل جارهم عبد الحميد . وانتشل الحقيبة من يده لأحرقها ، يقول معلقا على هذا الحدث " خامرتنى فكرة شراء سكين والعودة إليه وطعنه ، أوتدبير وسيلة لإخلاء أخوتى من الكوخ ، وإحراقه وهو نائم فيه[٣] ويذكر من فظاظة أبيه ضربه لأمه وإهانتها ، حتى أنه كاد أن يقتلها يوما من الأيام ، حين رفع عليها القدر الذى يغلى فيه محلول السكر ، الذى يصنع به العسل لبيعه فى سبتة ، لولا تدخل الجيران الذين استغاثت بهم ، لأفرغها على رأسها ، وعندما علم (محمد شكري) بذلك غضب وهدده " بتهشيم رأسه إن عاد إلى جنونه معها وخرج (أبوه) إلى دار جارنا وانخرط فى نوبه من البكاء ، وهويردد المسخوط يهددنى بالقتل[١] ولقد ظل يحمل له شعور الكره طيلة حياته يقول استيقظ كل ما تجمع فى الماضى من كراهيتى الراقدة له ، لقد عاد الإرهاب بيننا لا أعرف ما سبب تصفية حسابه معى ، أنه يلاحقنى فى الحضور والغياب

(١) م . نفسه ص ٩٣
(٢) راجع الشطار محمد شكرى ص ٩٢
(٣)م . نفسه ص ٧٨
(١) م . نفسه ص ١١٤

يخيل لىّ دائما أن له وجه مجرم ، وجه من خرج من السجن حديثا من سجن عانى فيه الاشغال الشاقة وعاقبه العصيان (١) .

ومن صور تعرى للعلاقة بين الابن وأبيه ما نجده فى ثلاثية حنا مينا لنجد شعور السخط وعدم الرضا على الأب الذى يعيش لحظته لا مباليا بأى شئ سوى مزاجه يشرب حتى يبول فى شرواله ، ولا يعمل عملا إلا ويخسر فيه ، متنقلا من مكان لآخر بتجارته الكاسدة الخاسرة ، لقد أصبح عالة على الأسرة ، لإسرافه المال ولسكره حتى يغيب عن الوعى ، يحكى لنا عن سكره ورجوعه البيت فى حالة مخزية قائلا " كان يسكر فى أية قرية يصلها ، وكان يعود إلى البيت وهو سكران وكثيرا ما سقط فى الطريق العام ، ويطرح بما يحمل من صدر فيه بقية مشبك ، أو فيه بعض الحبوب التى بادل بها ، وتسقط سلة البيض الذى يجمعه وينكسر ما فيها ، ويظل ملقى على قارعة الطريق ، حتى تسرق أشياؤه (٢) .

ويذكر لنا كثيرا ما يأتى به من يحملونه فاقد الوعى ، ولم يستطيعوا إدخاله البيت، وتطاول عليهم ذات مرة ، ضربه أحدهم ، يقول معلقا على هذا الموقف فى أسلوب يطفح ألما " إن أرهب الأشياء وأشدها إهانة وإيلاما أن يرى الطفل أباه يضرب ، أنه يتسربل بالعار ، يود أن يقتل الضارب ، أو تنشق الأرض فتبلعه حتى لا يرى مشهدا كهذا (١) ويذكر لأبيه أنه كان لا يراجع فى خطئه ، وكان متعصبا لرأيه ، مصرا على الشرب والخسارة التى تلحق الأسرة من جراء حمقه وانحرافه ، فعندما طلبت منه الزوجة عدم الرجوع إلى الشرب رد عليها ردا عنيفا : " أنت يا بنت الكلب ، تتهمينى بالسكر حتى

---

(١) م . نفسه ص ٩١
(٢) المستنقع حنا مينا ص ١٠٤
(١) م . نفسه ص ١٠٧

لو كنت أصلى ، ولو كنت فى الكنيسة قلت أننى كنت فى الخمارة ، أنا لم أسكر [١]) وقد مر بنا ذكره للموقف المحرج من جراء سكر أبيه ، عندما اصطحبه للعمل خارج المدينة وعند وصوله إلى (قرق خان) شرب حتى غاب عن الوعى ، وتلفت (الصبى) فلم يجد من كان يحتمى بهم فى مثل هذا الموقف (أمه وأخته) واجتمع عليهما الناس ، فأخذ (الصبى) يبكى ، عندما دفعه بيديه الصغيرتين ضربه ، وقام أحد الحاضرين برد هذه الضربة لأبيه لولا صراخه [٢] .

لقد أثار هذا الموقف فى روعة مآسى أبيه من قبل ، ومواقفه المخزية المتكررة ولكم كان يشعر – بين زملائه فى المدرسة بالخزى والانكسار ، ومناداة أحدهم له أنت يا ابن السكران ، حتى فى أحلك اللحظات ، بعد عودتهم من إسكندرونة ، وانتظروا فى المقابر فى ضاحية من ضواحى اللاذقية يشرب الخمر ، ويرتكب الفاحشة مع غندف [٣] . وفى حفل الزيتون تثور حميته لنصرة بدور التى حاول أن يتمادى معها المطعون بكلام يتجاوز حدود الحياء ، فرفضت ، فاتهمها بالسرقة ،وذهب من جراء هذا الموقف إلى السجن عشرة أيام ولو ثبتت التهمة ضده لطرد هو وزوجته وأولاده من المزرعة ولضاع عليه أجر كان – هو والأسرة – فى حاجة إليه ، لقد حزنت الأم عليه وامتعضت لسلوكه اللامبالى ، عبر عن شعور أمه بعد هذا الموقف قائلا " لقد قطعت الأمل – منذ زمن بعيد – من انصلاحه ، هذا هو سيكر خاسر مشاغب لا يسكت على واحدة ، ولا يأبه حين يتصرف – بالعواقب ، هذه هى التى تتصل بالخوف والحذر ، وهو لا يخاف ولا يحاذر ، ويستطيع عند اللزوم أن يقتل وأن ينام ملء جفنية ، ليلة شنقه نفسها [١] .

---

(١) م . نفسه ص ١١١
(٢) راجع م . نفسه ص ٣٨٧
(٣) راجع القطاف ص ٢٤
(١) م. نفسه ص ١٨٦

إن ذكر سيرة أبيه فى لامبالاته وحمقه وسكره وعلاقاته النسائية المشبوهة ،وعدم رعايته لمهنته ، مما أدى إلى تراجع مستوى الأسرة المادى شيئا فشيئا حتى صاروا من المعدمين ، مما اضطر الأم والأختين إلى قبول الخدمة فى بيوت السادة تصوير كل هذا فى الثلاثية بهذه التعرية للعلاقة الأسرية كانت الدافع لموقف أخته منه بعد كتابتها له بعزمها شراء ما تبقى من نسخ الرواية يقول حنا مينا "عندما كتبت " بقايا صور" وقرأتها لها بناتها ، لم تكن راضية ، هذا حدث قالتها ، ولكن لماذا يريد حنا أن ينبش الماضى ويتحدث عن والده بهذه القسوة ؟! . أما عندما قرأوا لها الكتاب (المستنقع) ، فقد عاتبتنى ، اسمع هذا يكفى لقد أسرفت ، قف عند هذا الحد ، وبعد أن عبرت عن استيائها قالت : أنا أشترى ما تبقى من قصة أبيك – اكتب عن نفسك ، ولكن دع والدك بحاله .. كم تريد ؟ (١) .

– ٤ –

٤-١ من الأمور المنافية للصدق والصراحة دعوى إنكار الذات ، أو الزهو والغرور وتمحيد الذات (٢) ، ومن السير الذاتية التى تضمحل فيها الذات ، ويضمر وجودها ، سيرة حياة شوقى ضيف (معى) ، فلا وجود لذات صاحبها ولا موقفًا لها من الحياة ، ولا مشكلة تعتريها ، وتقف حائلا دون تحقيق أهدافها ، فحياته تسير كالماء الذى ينحدر على الأرض المنبسطة الملساء ، ورغم أنه – كما مر بنا – عرض لحركة الأحزاب السياسية فى مصر فترة سيرته إلا أننا لا نجد له موقفا سياسيا ، ولا انتماء حزبيا معينا ، لا مشكلة له مع أسرته (كالتى تنشب من اختلاف وجهات النظر مثلا) الأسرة تعيش حياة رغدة (مزرعة لأبيه وأخرى لجدة) وأبوه يجمع بين العلم والدين وصواب الرأى وحب الناس له ، أمه وأبوه متحابان ، الأم تجل زوجها ، وتقدره لأنه

(١) هواجس فى التجربة الروائية حنا مينا –دار الآداب – بيروت عام ١٩٩٠ ص ١٠٣
(٢) راجع : الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث د. يحيي عبد الدايم ص ١٣٧

دمث الخلق ، ولا نرى مشكلة واحدة ، تعترى حياتهما رغم أن الخلاف يوجد فى كل الأسر ولو بنسب متفاوتة .. ويذهب إلى المدرسة الابتدائية ، فينجح بتفوق دون عقبات ، ويحفظ القرآن دون أى عارض يعترضه من نسيان أو تقصير أو صعوبة معينة (كما اعترف طه حسين بالنسيان أكثر من مرة) يقول عن سرعة حفظه " وما أن مرت عليه بضعة أيام حتى لاحظ سيدنا سرعة حفظه .. إذ رآه حين يلزمه بحفظ صحيفة أو أكثر من المصحف الشريف يبادر سريعا إلى تسميعها " (١) ، وقد أتم حفظ القرآن الكريم فى أقل من عام (٢) ، ويلحق بالمعهد الدينى بدمياط " وما هى إلا بضعة شهور حتى أخذ الصبى يحسن تجويد القرآن الكريم ، ومعرفة مخارج الحروف فيه بدقة " (٣) .

وعلى خلاف طه حسين يجد ارتباطا وانسجاما لطريقة الأزهريين التى تعتمد على المتون والحواشى والشروح القديمة ، وينعى على التربية الحديثة أنها لم تلتزم بهذه الطريقة حتى تعليم النحو بالمدارس يقول : " ولو أن أستاذا من أساتذة التربية الحديثة وقف على هذه الطريقة فى تعليم النحو لأنكرها أشد الإنكار .. ومن أغرب الأشياء أن هذه الطريقة السليمة لم تنجح حتى الآن فى تمثل تلاميذ المدارس للنحو (٤) ، ومع انسجامه بطرق التدريس التقليدية يفتح قلبه للمناهج والدراسات الحديثة (فى عصره) فيقرأ لطه حسين والعقاد والرافعى وهيكل مقالات فى الصحف اليومية ، يجد فيها متعة وجمالا ، ويشيد بأسلوبهم (١) . وعندما كان يقرأ نقد بعض المحدثين لطريقة الأزهريين كان يعارضه (بينه

---

(١) معى د. شوقى ضيف ص ٤٠
(٢) راجع م . نفسه ص ٤١
(٣) م . نفسه ص ٤٤
(٤) م . نفسه ص ٥٠
(١) راجع م . نفسه ص ٥٦ ، وص ٥٧

وبين نفسه طبعا) ، وينجح فى المرحلة الابتدائية بتفوق وينقل للمرحلة الثانوية ويتكرر النجاح بتفوق ، وليست هناك مادة لا تختلف مع ذوقه واستعداده ... الخ

ويحضر لمجالس العلماء فى الأزهر (فى صورة التعليم الحر) حيث يختار الطالب الأستاذ (الشيخ) الذى يدرس له المادة التى يحتاجها .. ويشيد بهذا التصور، وفى الوقت نفسه ينسجم مع الطريقة الحديثة للتدريس فى الجامعة (مثلا مصطفى إبراهيم فى النحو- وأمين الخولى فى البلاغة ..) ويقرأ المقالات – كما ذكرنا ويكتب المقالات فى الصحف ، وأول مقال كتبه عام ١٩٣٤ (حول الوضوح والغموض) فى مجلة الرسالة ويتخرج عام ١٩٣٥ بتفوق (جيد جدا) ويعمل معيدا ، ويحصل على الماجستير ثم الدكتوراه..

سيرة بهذه الصورة لا نجد وجودا بارزا وثقلا لصاحبهالعدم وجود عقبات وتصدعات فى حياته مما يؤدى إلى انعدام الصراع الذى يعطى السيرة الحركة والحياة ويشعل المواقف والأحداث حرارة ونبضا فالبطل متصالح مع كل شئ وراض بكل شئ ، وما حدث له فى حياته أشبه بالقصص التى تحكى لنا (كما يريد الراوى ليس إلا) فلا نجد فى هذه السيرة الطزاجة ولا المتعة. أين عاطفته ؟ ! أليس بشرا يحب ويعانى ويسهر ويكتب خطابات أم هذا حرام ؟!

أين أبواه ؟! أين أصدقاؤه ؟ وما نتوقع من اختلاف فى الرأى ؟ أين كوامن النفس وأهواؤها رغباتها .. وأمنياتها .. سقوطها نجاحها ؟ ! ..

٤-٢ عكس إنكار الذات الزهو والمباهاة والفخر والخيلاء ، ونقف هنا على نموذجين يمثلان هذا الملمح الفنى ، الذى أخل بالصراحة والصدق فى سيرتهما هما العقاد فى (أنا) وعبد الرحمن بدوى فى (سيرة حياتى) فالعقاد يتحدث فى تبجح وثقه زائدة يقول مفتخرا بنفسه " لقد علمتنى تجارب الحياة أن الناس تغيظهم المزايا التى تنفرد بها

ولا تغيظهم النقائص التى تعيبنا ، وأنهم يكرهون منك ما يصغرهم لا ما يصغرهم ، وقد يرضيهم النقص الذى فيك .. وأعجب ما عرفته من أمر نفسى أننى سئ الظن بالناس ، لأننى أحسن الظن بهم " (١) .

ويصل الغرور حدته فى قوله " لقد حاربت الطغيان ، وحاربت الفوضى ، لقد حاربت رؤوس الأموال ، وحاربت مذاهب الهدم والبغضاء ، لقد حاربت التبشير ، وحاربت التقليد الأعمى والرجل المريب باسم الدين ، لقد حاربت الجمود والرجعية ... لقد حاربت الأحزاب وحاربت الملوك .. لقد حاربت هتلر ونابليون ، وحاربت المستعمرين .. لقد حاربت أعداء الأدب المسمى بالقديم ، وحاربت أصدقاء الأدب المسمى بالجديد .. (٢) .

ويقول متبجحا " أديب مشهور وليس بليسانس ولا دكتور ، وعضو فى مجلس الأعيان وليس فى حوزته نصف فدان ، وليس ببيك ولا باشا ، لكنه يقول للبيك والباشا كلا وحاشا .. وصاحب قلم مسموع الصرير مرهوب النفير ، ولكن ليس بصاحب صحيفة ولا بمدير ، ولا برئيس تحرير ، ولا سكرتير تحرير – يا حفيظ شئ يجنن (٣) شخصية بهذه الصورة معتزا بنفسه واثقا من قدراتها ، ولا يضعف ولا يطرق الضعف قلبه ، ولا يتوارى ولا يسكت ، ولا ينبض قلبه بالحب ، فيجزع لعاطفته ، ولا يتنازل فى معاملة الناس ، ولا يجعل للرفق طريقا فى حياته .. أين الصراحة فى هذه السيرة ؟! أليس العقاد إنسانا ؟! وكأى إنسان يفرح ويحزن ينجح ويخفق ، يحب ويكره ، وتضيق به الأمور ثم تفرج ، تنقلب به الحياة من عسر إلى يسر ، ومن يسر إلى عسر .. لقد افتقدنا فى السيرة العقاد الإنسان (كأى إنسان) – ووجدنا العقاد (السوبر مان) .

---

(١) أنا العقاد ص ١٣٩ .
(٢) م . نفسه ص ١٦٤
(٣) م . نفسه ص ١٦٦ ، ١٦٧

obeikandi.com

النموذج الثانى للزهو والتباهى والفخر والخيلاء عبد الرحمن بدوى فى (سيرة حياتى) وهو يشبه العقاد فى سيرته فى اعتزازه الشديد بنفسه ، وفى اقتصار سيرته على حياته العلمية ، وفى عدم الزواج (كالعقاد) فاقتصرت السيرة على التغنى بإنجازاته العلمية ، ولقد كان شعاره كما قال " امتلئ ثقة بنفسك ، وازدراء الحاقدين " (١) والسيرة برمتها تمجيد لصاحبها وتعظيم لقدره يقول لقد تجاوزت كتبى المائة والعشرين ، أستطيع أن أقول بكل فخر واعتزاز أننى حققت هذه اللحظة تحقيقا كاملا (٢) ويصف تحقيقه لكتب " أرسطو وأفلاطون وأفلاطين .. وبرقلس بقوله " وقمت فى هذه الباب بما لم يستطع العشرات من المستشرقين الأوربيين مجتمعين القيام به ولا بعشره " (٣) .

ويقول عن كتاب أرسطو عند العرب " وأمام هذا العمل العملاق الجبار جن جنون العاجزين الحاقدين من هؤلاء المستشرقين الأدنياء وتلاميذهم الأدنياء ، فحاولوا نقده وهيهات هيهات أن يؤثر طنين هؤلاء الذباب فى جبل شامخ " (٤) .

يقول عن كتابه (أمانويل كنت) " لا يوجد كتاب عن أما نويل كنت بهذا الاتساع والتفصيل فى أيه لغة من اللغات التى أعرفها (٥) ويقول عن سارتر " ومنذ قراءاتى له لم أشعر نحو سارتر بأى تقدير من الناحية الفلسفية ، وعددته مجرد أديب وباحثا (٦) ويشك فى مستوى الدرجات العلمية ،ويعترف بأنه لم يحضر مناقشات رسائل إلا قليلا ونادرا لأن المناقشين – كما يرى – لم يقرأوا هذه الرسائل (١) أما رسالته ، فقد أثنى عليها باول

(١) سيرة حياتى د. عبد الرحمن بدوى ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ٢٠٠٠ ١٥٧/١
(٢) م . نفسه طبعة ١٥٠/١
(٣) م . نفسه ١٨٠/١
(٤) م . نفسه ١٨١/١
(٥) م . نفسه الصفحة
(٦) م . نفسه ١٨٤/١
(١) راجع م . نفسه ١٩٨/١

كراوس ووصفها " بأنها تجتاز القرون لتلحق بكبار الفلاسفة والمتكلمين فى القرن الثالث والرابع والخامس للهجرة " ويصفه طه حسين بعد المناقشة (كان عضوا فى لجنة المناقشة) لأول مرة نشاهد فيلسوفا مصريا (١) ويقلل من شأن المفكرين المصريين فى عصره فالعقاد طول حياته مأجور لحزب من الأحزاب الوفد عام ١٩٣٥ ، وخصوم الوفد من ١٩٣٥ : ١٩٣٨ والسعديين من عام ١٩٣٨ : عام ١٩٥٠ وكان مأجورا للإنجليز طول مدة الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ : ١٩٤٥ ، ويستخدم سلاطة لسانه ، وما يزعمه لنفسه من قوة عارضة فى التطاول على خصوم من يقف للدفاع عنهم (٢) والحكيم يكتب مقالات هزيلة تدل على جهله التام (٣) .

وأحمد أمين رجل حقود ضيق الأفق ، تأكل قلبه الغيرة من كل متفوق ، ومن كل متقن للغات الأجنبية ، لأنه لا يعرف لغة أجنبية فيما عدا قشورا تافهة من أوليات اللغة(٤) ، حتى طه حسين الذى وقف بجواره – خارقا القانون – فأرسله فى بعثه علمية إلى أوربا وهو فى السنة الثالثة من المرحلة الجامعية ، وناقشة الماجستير والدكتوراه يتنكر له ليقول عنه " وهو فى تاريخ الأدب لم يلق دروسا منظمة متسلسلة الحلقات ، محكمة الترتيب (٥) .

ولم يقتصر فى تقليل شأن غيره من الفلاسفة والمفكرين فقط ، بل والزعماء السياسيين فالنحاس رجل أبله معتوه ورجل وصولى (١) وعبد الناصر تصرفاته حمقاء طائشة لا تحسب حسابا لأى شئ غير الدوى الأجوف العقيم حول شخصه ، مهما ترتب

---

(١) م . نفسه ١٧٩/١
(٢) راجع م . نفسه ١٣٣/١
(٣) راجع م . نفسه ٢٠٢/١
(٤) راجع م . نفسه ١٥٣/١
(٥) م . نفسه ٥٧/١
(١) راجع م . نفسه ٢١٤/١١

عليها من خراب وويلات لمصر (١) ، ومحمود فوزى وزير الخارجية المصرى رجل معتوه جهول لا يدرى فى السياسة شيئا (٢) .

فالسيرة – برمتها – نقد واحتقار للآخرين وتعظيم لنفسه منصبا نفسه شاهدا على العصر رغم أنه لا يتجاوز مكانة (أستاذ جامعى فى علم الفلسفة) فسيرة بهذه الصورة المتعالية تفتقد الصدق والصراحة ، لأنها لا تبرز الضعف الإنسانى ولا حركة النفس من الداخل ، فهى تتغنى بمشواره العلمى وإنجازاته ، ولا تعرض لحياة صاحبها فى إطار مجتمع يعيش فيه ، ولا نجد فيها وجودا لعائلته ، أو لأصدقاء وجد منهم الحلو والمر – حتى علاقاته العاطفية فقد مر عليها مرورا عابرا ، نعم عرف ثلاث فتيات أوربيات (أنا شوشكا) والتى أشار بجمالها ولكن علاقته بها لم تستمر أكثر من أسبوع (١/٣٢٠) "هندريكة كوبز" التى قضى معها سهرة بصحبة أخيها (١/٨٣) ويوهنا جابلر استمر معها أسبوعين (١ /٣٢١) فهذا الجفاف أفقد السيرة الحيوية والجمال ، وغاب عن السيرة كشف كوامن نفس صاحبها وحركة النفس فى ذبذباتها الدقيقة ، إزاء انفعالها اتجاه مواقف الحياة والواقع .

(١) م . نفسه ٢٣٨/١
(٢) م . نفسه ٢٤٠/١

obeikandl.com